أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

تقدير موقف

السياسات الإسرائيلية
تجاه التحالف "الروسي-الإيراني"

إعداد: د. عدنان أبو عامر

كانون الثاني/يناير 2023

dimensioncenter.net

أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

مركز تفكير يُعنى بدراسة شؤون منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ويُقدّم للقارئ العربي رؤية موضوعية لشؤون المنطقة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
ويسعى المركز إلى تقديم محتوى يخاطب المختصين والمهتمين، بلغة بعيدة عن لغة الخبراء والفنيين والأكاديميين، وبتكثيف يتناسب مع متطلبات العصر الحديث، وما يستلزمه من إيجاز يُلبي احتياجات الباحثين والقراء.

www.dimensionscenter.net

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز أبعاد للدراسات الاستراتيجية - 2023

info@dimensionscenter.net

مقدمة

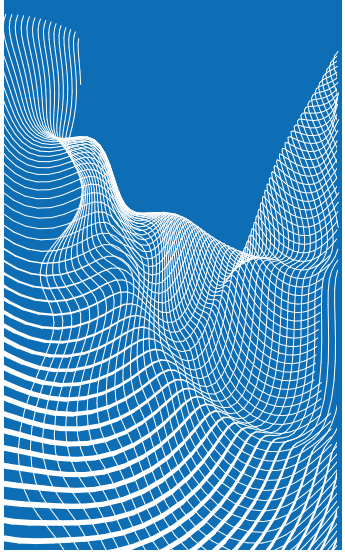

مع اقتراب الحرب الروسية على أوكرانيا من طيّ صفحة عامها الأول، تركت تأثيراتها المتلاحقة على خارطة العلاقات الثنائية والدولية بين مختلف أطرافها، ولم تكن إسرائيل بعيدة عن التعقيدات الناشئة بشبكة هذه العلاقات، لا سيما بالنظر لنشوء ما بات يسمى فيها "التحالف غير المقدس" بين روسيا وإيران، الذي أخذ مجالات عديدة بدأت بالتأييد الواضح لغزو أوكرانيا، مروراً بكسر العقوبات الدولية على موسكو، واستمرار الصفقات التجارية والمالية، وصولاً للدعم الإيراني لروسيا عسكرياً ولوجيستياً، وانتهاءً بالمقابل الذي وعدتها روسيا به من خلال تزويدها بالتقنيات العسكرية والاستخبارية، وربما في برنامجها النووي.

أشعلت كل هذه التطورات المتلاحقة بين موسكو وطهران أضواء حمراء في تل أبيب، جعلتها تضع هذا التحالف وحيثياته وتبعاته المتوقّعة نصب عينيها، وتسلط الضوء على ما قد يمكن لها القيام به لكبح جماحه، من خلال جهدها الذاتي من جهة، ومن جهة أخرى عبر علاقاتها مع المنظومة الغربية عموماً.

في إطار هذه الاعتبارات، يتناول هذا التقرير التحالف الروسي الإيراني من خلال قراءة أبعاده، وتداعياته على إسرائيل، وسياساتها تجاهه، والمسارات المستقبلية لموقفها منه.

أولاً: توطئة تاريخية

ليس سرّاً أن العلاقات بين روسيا وإيران احتلت حيزاً لافتاً في المتابعة الإسرائيلية منذ سنوات طويلة، لا سيما وقد تعلق بها رواسب ثقيلة عمرها قرون من الخوف والريبة، وحتى تسعينيات القرن العشرين خشيت إيران من احتمال قيام روسيا بغزو أراضيها للوصول لمنطقة الخليج العربي، كما خشيت من وصول النفوذ السوفيتي من خلال الحزب الشيوعي الإيراني "تودا"، لكن هذا القلق تضاءل بشكل كبير بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وأصبح لروسيا حدود مشتركة مع إيران، وفي ضوء محنتها في مجال توريد الأسلحة خلال حربها مع العراق، وأصبحت روسيا منذ 1989 أكبر مورد لها، وقدمت مساهمة مهمة لبرنامجها النووي، ولعل انسحاب روسيا القسري لقواتها من أفغانستان قدم مساهمة مهمة أخرى في تهدئة مخاوف إيران بشأن نواياها.

منذ عام 2012 رصدت تل أبيب مزيداً من التقارب في علاقات طهران وموسكو، وتجلى بعدد كبير من اجتماعات القمة، ودعم روسيا السياسي لمواقف إيران، وتوسيع علاقاتهما الاقتصادية، واتصالات لتقديم مساعدة لتوسيع برنامجها النووي، لكن إسرائيل توقفت ملياً عند تقارُب روسيا وإيران العسكري في 2015 لدعم النظام السوري أمام ما واجهه من معارضة كادت أن تطيح به، لولا دعمهما له، حيث تقاسمتا المهامّ القتالية، فروسيا تُسهم بضربات جوية وتقنيات عسكرية متطورة، بينما تولت إيران القتال البري، خاصة من مقاتلي حزب الله وميليشيات الحرس الثوري وفيلق القدس، كما ساهم الربيع العربي بشعورهما بخطر يُحدق بهما، مما شجعهما على توسيع تعاوُنهما.

لكن الاتفاق النووي في 2015 الذي ساهم بتوسيع نفوذ إيران الإقليمي المتزايد، وحصولها على شرعية من النظام الدولي، شجع روسيا على توسيع علاقاتها معها، وسهّل رفع جزء كبير من العقوبات عليها من توسيع علاقاتهما الاقتصادية، فضلاً عن سعي روسيا جاهدة لتوسيع نفوذها في الشرق الأوسط، وهي لا تُخفي خشيتها من قوة ووجود الولايات المتحدة فيه.

في الوقت ذاته، تضع إسرائيل يدها على جملة من خلافات وتناقُضات موسكو وطهران، فالأولى قوة عظمى، واعتباراتها في العلاقة مع الدول الأخرى وقيودها وأولوياتها تختلف عما لدى الثانية، وقد تتعارض معها، بل إن إيران قبل حرب أوكرانيا شعرت بالقلق من زيادة ثقل روسيا في الشرق الأوسط، مما أدى لتوليها زمام المبادرة في سورية، في ظل اختلاف نظرتها لمآلات الوضع فيها، ورأت في إنقاذ نظام الأسد مصلحة حيوية لها، أما روسيا فاعتبرتها مصلحة مهمة وليست حيوية، وكانت جاهزة للتسوية بدون الأسد، شرط الحفاظ على مصالحها في ميناء طرطوس وقاعدة حميميم، حتى أن علاقات روسيا الطيبة مع إسرائيل لم تكن تروق لإيران، حتى الآن.

هـذا الاسـتعراض يعبـد الطريـق للحديـث عـن أهـمّ دلالات وأبعـاد هـذا التحالـف الروسـي الإيراني على النحو التالي:

1. رغبـة روسـيا بالحصـول علـى معـدات عسـكرية قتاليـة تحـول دون مزيـد مـن غرقهـا فـي وحـل أوكرانيـا التـي تحظـى بدعـم عسـكري غربـي لا محـدود، وفـي هـذه الحالـة تـرى موسـكو أن دعـم طهـران لهـا بالطائرات المسيرة والصواريخ الباليستية يفيدها في هذا الجانب.
2. تعتقـد روسـيا أن تنامـي تحالفهـا مـع إيـران يفيدهـا فـي عـدم عزلهـا إقليميـاً ودوليـاً، وهـي الرغبـة الغربية المتصاعدة بتطويق موسكو، لا سيما من الدول المجاورة لها.
3. يظهـر الموضـوع الاقتصـادي أساسـياً فـي هـذا التحالـف، مـن خـلال عثـور روسـيا علـى طـرف مثـل إيـران يشتري نفطها الذي يتعرض للحصار والحظر الغربي.
4. فـي المقابـل، لا تبـدو إيـران أقـل اسـتفادة مـن روسـيا مـن هـذا التحالـف، خاصـة وهـي تـرى أن مسـيراتها وجـدت لهـا سـوقاً لـدى دولـة عظمـى، وليـس فقـط توزيعهـا علـى حلفائهـا فـي المنطقـة، أو حتـى لدولـة مجـاورة لروسـيا مثـل أرمينيـا، فالحديـث هنـا عـن فوائـد ماليـة مجزيـة، فضـلاً عـن التبعـات العسكرية المهمة.
5. فـي الوقـت ذاتـه، ربمـا تكـون إيـران مسـتفيدة مـن هـذه الحـرب؛ لأنهـا سـاهمت بإيجـاد شـروخ لا يسـهل ترميمهـا بيـن روسـيا والمنظومـة الغربيـة، ممـا سـيفيدها فـي برنامجهـا النـووي، وكسـر العقوبـات عنها، وظهورها كطرف محوري في هذا الاستقطاب الدولي الرأسي الحادّ.

ثانياً: قراءة إسرائيلية في أبعاد التحالف

فور اندلاع حرب أوكرانيا أصدرت إيران مواقف داعمة ومؤيدة لروسيا، بينما تأرجح موقف إسرائيل، واختارت السير على كلا المحورين، فرئيس الوزراء السابق نفتالي بينيت لم يدافع عن الغزو الروسي، أما وزير خارجيته يائير لابيد فهاجمه، الأمر الذي قابله زيادة كبيرة في التعاون بين روسيا وإيران، اعتبرتها إسرائيل خُطوة قد تشكل خطراً حقيقياً عليها؛ لأنها شملت توسيع شراكتهما الإستراتيجية، من خلال خطوات كبيرة بتعاوُنهما العسكري، تم وصفه بأنه "شراكة دفاعية كاملة"، مع تدفق الأسلحة والخبراء العسكريين في كلا الاتجاهين.

ينعكس هذا الاتجاه في جملة من الخطوات من وجهة النظر الإسرائيلية، لعل أهمها:

1ـ الإجراءات العسكرية:

إمداد إيران لروسيا بمئات الطائرات بدون طيار الهجومية من طراز "شاهد 136"، والتدريب على عملياتها، وإنشاء خط إنتاج مشترك للطائرات بدون طيار في روسيا، مع وجود استعداد إيراني لذلك، وإمداد روسيا بصواريخ "أرض-أرض".

مع استمرار حرب أوكرانيا، وتفاقم النقص الروسي في المعدات العسكرية، تتوقع إسرائيل أن يزداد الاعتماد الروسي على تلقي المساعدة من إيران، ونتيجة لذلك، فإن المقابل الذي ستكون موسكو جاهزة لتقديمه لطهران مقلق بالنسبة لتل أبيب، مما يجعل خياراتها المتاحة للتدخل في توثيق العلاقات بينهما محدودة للغاية، رغم أن تعميق تعاوُنهما يحمل في طياته إمكانية تحسين قدرات طهران العسكرية، وقدرتها على المناورة، بما يعزز التهديدات من جانبها ومن جانب حلفائها في المنطقة مثل حزب الله والحوثيين ضد إسرائيل ودول الخليج.

على المستوى التكنولوجي، تقدر إسرائيل أن إيران قد تستخدم أوكرانيا أرضاً تدريبية لاختبار وتحسين أداء طائراتها بدون طيار، رغم أن روسيا لا تزال حذرة بشأن توسيع المساعدات لها في المناطق التي يمكن أن تضرّ بمصالحها الإستراتيجية.

ورغم ورود أنباء عن طلبات إيرانية للمساعدة بشراء موادّ نووية وإنتاج وقود نووي، فإن روسيا تمتنع، وفق التقدير الإسرائيلي، حتى الآن على الأقل، عن تقديم المساعدة لطهران في تطوير المشروع النووي العسكري، ويرجع ذلك للخوف من العواقب الإستراتيجية والأمنية طويلة المدى لها إذا امتلكت أسلحة نووية، من حيث زيادة الثقة بالنفس، والجرأة، والضرر بأنظمة الحدّ من التسلح، وسباق التسلح النووي من جانب السعودية والجزيرة العربية ومصر وتركيا، بما يحمله كل ذلك من زعزعة لاستقرار الشرق الأوسط.

تبدي إسرائيل تخوفها من تبعات تحالف روسيا وإيران في استفادة الأخيرة من بيع نفطها، وتجاوز العقوبات الأمريكية، وإحباط قرارات ضدها في الأمم المتحدة، والخشية من مساعدة روسيا لها في المستقبل بالحصول على قدرات جمع المعلومات الاستخباراتية، ومساعدتها بإطلاق أقمار صناعية للتجسس والتصوير باستخدام الصواريخ الروسية، والتعاون في مجال البحث والتطوير والإنتاج الصناعي، والأسلحة المحسنة التي تنتجها بالتعاون مع الروس ستزود فيها فروعها في لبنان واليمن والعراق، وجعل الطائرات بدون طيار الإيرانية أكثر تحصيناً باستخدام شبكة الأقمار الصناعية للملاحة الروسية "جلوناس"، وشبكة الأقمار الصناعية الغربية GPS التي استخدمها الإيرانيون اليوم ،وينطبق والشيء نفسه على الصواريخ قصيرة ومتوسطة المدى.

2ـ الخطوات السياسية:

ترى إسرائيل أن إنشاء محور إستراتيجي والتزام متزايد من جانب موسكو لدعم مواقف طهران على الساحة الدولية، خاصة حول الاتفاق النووي؛ والمجال العسكري، وتحديث القوة وأنظمة الدفاع الجوي والقدرات الاستخباراتية، وصولاً لاحتمال أن تزودها بأنظمة دفاع جوي متطورة S400، وطائرات مقاتلة SU-35 وطائرات هليكوبتر مقاتلة، كلها تطوّرات مقلقة.

لا تخفي إسرائيل أن من محاور تحالف روسيا وإيران أن تطالب الأخيرة وقف العدوان الإسرائيلي الذي يستهدفها في سورية، ومع ذلك، فإن روسيا تتجنب تغيير نشاطها تجاه إسرائيل لسببين رئيسيين: أولهما أن النشاط ضد الأهداف الإيرانية يخدم مصالحها الإستراتيجية لإضعاف هذا الوجود هناك، وثانيهما وجود تفاهم ضمنيّ بين تل أبيب وموسكو أنه ما دام يتم الحفاظ على حرية عمل القوات الجوية في سورية، فإن إسرائيل لن تزود أوكرانيا بأنظمة الدفاع الجوي.

مع العلم أن روسيا استولت على غنائم في أوكرانيا، ونقلت لإيران صواريخ "جافلين" المضادة للدبابات التي قدمها الأمريكيون للأوكرانيين، وهي صواريخ الكتف الأكثر تطوراً من نوعها في العالم، وفي هذه الحالة سيتم نقلها لحزب الله في لبنان والمقاومة الفلسطينية، واستهداف دبابات الجيش الإسرائيلي وناقلات جنوده ومركباته المدرعة، وهذا يعني تحدياً جديداً سيواجهها.

في الوقت ذاته، يرصد الإسرائيليون الدعم الروسي لإعادة إنشاء القوة الجوية الإيرانية المأهولة، لأن العقوبات الأمريكية والدولية حدت من قدرتها على الشراء خلال العقود الخمسة الماضية، وباتت مجبرة على استخدام طائرات مقاتلة وطائرات هليكوبتر أمريكية وروسية قديمة من السبعينيات والثمانينيات، مما يجعلها بالكاد تشكل تهديداً أو عقبة أمام طائرات إسرائيلية قد تهاجمها من الجو، لكن من المحتمل أن يتغير هذا الوضع بشكل كبير في غضون بضع سنوات، بعد بدء الروس بتدريب الطيارين الإيرانيين على تحليق طائرات قاذفة قنابل مقاتلة من طراز "سوخوي 35".

هناك افتراض إسرائيلي نقله الخبير العسكري الإسرائيلي رون بن يشاي في مقاله المنشور بصحيفة يديعوت أحرونوت يوم 12 ديسمبر 2022 بأن الروس سيبيعون للإيرانيين، صواريخ "جو-جو" متطورة وبعيدة المدى، وصواريخ "جو-أرض" من إنتاجهم، ومروحيات هجومية وطائرات هليكوبتر مقاتلة وأنظمة دفاع جوي متطورة تجعل من الصعب للغاية مهاجمة إيران من الجو.

3- التعاملات الاقتصادية

تحاول روسيا وإيران توحيد أنظمتهما المصرفية للحدّ من تأثير الدولار، وتجنب العقوبات الغربية، وهما أكثر دول العالم تعرضاً للعقوبات؛ التي أدت لعزل طهران عن نظام "سويفت" بين البنوك، وتكرر نفس السيناريو مع روسيا بعد غزو أوكرانيا، لهذا السبب، اتخذتا الخطوات ذات الصلة للبدء بربط أنظمتهما المصرفية، والانتهاء من اتفاق تعزيز تبادُلهما التجاري بعشرة مليارات دولار سنوياً، وناقشتا وضع إجراءات لمواجهة هيمنة الدولار، وقد ناقش محافظا البنكين المركزيين الإيراني والروسي موضوع استخدام العملات الوطنية، كجزء من خطة مشتركة للتخلي عن الدولار واليورو، وتطوير نظام تبادل وطني بين بنوكهما، والدفع قدماً بنظام المراسلة المالية البديل لنظام سويفت، ومحاولة توسيعه ليشمل شركاءهما في بريكس وحلفاءهما الآسيويين والاتحاد الاقتصادي الأوراسي ومنظمة شنغهاي للتعاون.

ثالثاً: تداعيات التحالف على إسرائيل

يرصد الإسرائيليون ما يقولون إنها معالم التحالف "غير المقدس" الروسي الإيراني الذي يأخذ مجالات في مساعدات الطائرات والصواريخ الدقيقة، وربما حتى النووية، لا سيما في ظل الفرق الروسي في الوحل الأوكراني، مما دفعها للتعاون مع إيران بصورة شكلت مصدر قلق لإسرائيل، من خلال الطائرات الانتحارية بدون طيار الإيرانية التي ستحسنها موسكو قد ينتهي بها المطاف لأيدي حزب الله، ونقل روسيا لإيران صواريخ أمريكية مضادة للدبابات حصلت عليها من داخل أراضي أوكرانيا، وسوف تخضع لهندسة عكسية.

مع أن التخوف الإسرائيلي الأكبر يكمن في حال أقدمت روسيا على تقديم المساعدة النووية لإيران، صحيح أنه يبدو مستبعداً، على الأقل حالياً، لكن الأمر مرهونٌ بمآلات الحرب الميدانية، رغم أنه لا يوجد روسي لديه عقل سليم يريد دولة إسلامية ونووية على الحدود الجنوبية لـ"روسيا الأم"، كما جاء في تقرير نشرته صحيفة معاريف يوم 4 نوفمبر 2022، فضلاً عن فرضية إسرائيلية نقلها الخبير العسكري الإسرائيلي رون بن يشاي عن محافل استخبارية في تل أبيب مفادها أنه قد يسقط النظام الحالي في إيران، ويحل محله نظام موالٍ للغرب.

رغم تواضع هذا التقدير، لكن أوساطاً إسرائيلية زعمت أن بوتين "اليائس" من غرقه في الوحل الأوكراني، قد يطلب من إسرائيل الحدّ من ضرباتها الاستباقية في سورية، رغم أن هذا لم يحدث حتى الآن، والحديث يدور عن إستراتيجية "المعركة بين الحروب"، ضد القواعد الإيرانية ومبعوثيها وضد مصنع الصواريخ الدقيقة في لبنان، فالكرملين يعرف جيداً أن حرية الطيران الإسرائيلية في أجواء سورية ولبنان تعتبرها إسرائيل مصلحة حيوية لأمنها القومي، وبالتالي ستعمل على الحفاظ عليها بكل الوسائل والطرق الممكنة، وإذا فشلت الدبلوماسية، فقد لا يكون أمام إسرائيل من خيار سوى استخدام الوسائل العسكرية، بما في ذلك المواجهة المباشرة والمدمرة مع القوات الروسية على الأراضي السورية، بزعم أن بوتين لا يستطيع الآن، وفي المستقبل المنظور، تحمل صراع عسكري عنيف، إضافة للصراع الذي ينخرط فيه مع أوكرانيا؛ وهو صراع لديه فرصة واضحة لخسارته عسكرياً واقتصادياً.

في الوقت ذاته، ومع كل العيوب والمخاطر التي تواجه إسرائيل المتأصلة في التحالف الروسي الإيراني، ترصد محافلها، وعلى غير العادة، ما تعتبره فوائدَ ومزايا قد تعود عليها من هذا التحالف، أهمها:

1. استيقاظ معظم الدول الغربية، وإدراكها أن إيران تشكل تهديداً حقيقياً وملموساً وخطيراً على السلام العالمي؛ وليس فقط تهديداً لاستقرار بلدان الشرق الأوسط، وتهديداً وجودياً لإسرائيل، هذا هو الحال وما زالت قدرات إيران العسكرية والصناعية تقليدية، فمن السهل على الغرب تخيل ما سيحدث عندما تمتلك أسلحة نووية.

2. ساهم تزامن مساعدة إيران لروسيا في حربها ضد أوكرانيا مع قمع الاحتجاجات الداخلية بتخفيف دوافع إدارة بايدن ودول الاتحاد الأوروبي للتوقيع على اتفاق نووي.

3. هذه التطورات تعني بالنسبة لإسرائيل أن إيران ستستمر بتحمل عبء العقوبات، وقد تخضع لأخرى إضافية، مما سيحرمها من الكثير من الموارد المجانية للاستثمار بمشروعها النووي والنشاطات العسكرية الأخرى، وتأثير كل ذلك على الوضع الاقتصادي داخل إيران، وهذا بحد ذاته خطر على النظام ككل.

يكمن التعامل الإسرائيلي مع هذه التبعات من خلال تكثيف الاتصالات مع الإدارة الأمريكية والاتحاد الأوروبي لتعميم صورة إيران المهددة للأمن الإقليمي والدولي، وتوسيع الشروخ القائمة بين طهران والعواصم الكبرى من خلال جهد دبلوماسي إسرائيلي كبير، وفي الوقت ذاته تكثيف ضرباتها للأهداف الإيرانية في سورية المتمثلة بقوافل الأسلحة المتجهة إلى حزب الله، وفي الوقت ذاته زيادة هجماتها في العمق الإيراني بعمليات الاغتيال للعلماء النوويين وضباط الحرس الثوري، وهي مطمئنة أنه لن تصدر مواقف دولية منددة بها.

رابعاً: السياسات الإسرائيلية تجاه التحالُف

تزعم المحافل الإسرائيلية أن طهران وضعت نفسها في تحالفها مع روسيا ضمن ما تسميه "معسكر الشر" ضد عدوها اللدود الولايات المتحدة؛ لأن صراعهما يتمدد اليوم في المنظومة العالمية في جبهة أوكرانيا، وفي هذا الوضع تقف إسرائيل والولايات المتحدة على نفس الجانب من السياج تجاه إيران، وهناك فرصة لإقامة حوار ثنائي حول هذه القضية، على أساس شراكة إستراتيجية لتحقيق الهدف المعلن وهو أنها لن تمتلك أسلحة نووية أبداً.

مع العلم أنه في الحديث عن حرب أوكرانيا، فهي في المرتبة الأولى من حيث ترتيب الأولوية القصوى للولايات المتحدة وأوروبا، اللتين تعتبرانها تهديداً لأمنهما والنظام العالمي، واختباراً للانتماء للمعسكر الصحيح، ولذلك تنظران لموقف إسرائيل على أنه محايد، رغم أنهما توقعتا منها التزاماً أكبر بمواقفهما، وصولاً لتزويد أوكرانيا بأسلحة دفاعية ضد الطائرات بدون طيار والصواريخ الإيرانية، وزيادة المساعدة الأمنية للدول الأوروبية، وتعزيز دفاعها، والسماح لها بنقل أسلحة دفاعية لأوكرانيا، وهو ما لم يحصل حتى الآن، مما أثار توتراً أوكرانياً إسرائيلياً لا تخطئه العين وصل حدّ تصويت كييف لصالح قرار في الأمم المتحدة لصالح الفلسطينيين نكاية بتل أبيب، مما حدا بوزارة الخارجية الإسرائيلية لاستدعاء السفير الأوكراني لديها يفغين كرونيتشوك لتوبيخه، وهو ما كشفته المراسلة السياسية صحيفة مكور ريشون هوديا حزوني يوم 15 نوفمبر 2022.

وفيما تتابع الأوساط الأمنية والعسكرية الإسرائيلية تنامي ما تصفه بـ"محور إيران-روسيا" الذي بدأ يأخذ مديات أوسع، فإنها اعتبرت أنه يستدعي منها القيام بعدد من الخطوات المطلوبة للحيلولة دون تهديد مصالحها الإقليمية والدولية، ذكر أهمها الجنرال عاموس يادلين الرئيس الأسبق لجهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية- أمان، في مقال نشرته القناة التلفزيونية 12 يوم 15 ديسمبر 2022، خاصة تغيير موقفها من حرب أوكرانيا، وتعزيز العلاقات مع الولايات المتحدة باعتبارها أهم حليف، وأحياناً الوحيد، والعلاقات معها من ركائز أمنها القومي، وزيادة العمل الاستخباراتي والتعاون العملياتي والإستراتيجي الضروري لإسرائيل.

مع العلم أن الوقوف بجانب أوكرانيا ضدّ الهجوم الروسي يحظى بدعم واسع من الحزبين في الولايات المتحدة، كما جاء على لسان كارين دونفريد مساعدة وزير الخارجية الأمريكية للشؤون الأوروبية والآسيوية في مؤتمر صحافي عقدته يوم 9 نوفمبر 2022.

في الوقت ذاته، لا تخفي إسرائيل تحريضها لدول المنطقة، لا سيما الخليجية منها، بالزعم أن توثيق التعاوُن العسكري بين طهران وموسكو، من خلال الطائرات المسيرة والتقنيات العسكرية، يؤكد أن الأولى تهدد جيرانها العرب في الخليج بجانب إسرائيل، مما قد يحفز تشجيعهما على تبني سياسة مضادة لها، والضغط على روسيا لتقليص مساعداتها لها، والسعي للحدّ من نفوذها في المنطقة، بزعم أنه تهديد للأمن الإقليمي.

في هذه الحالة تجد إسرائيل نفسها مَدعُوّة للحفاظ على زَخم العلاقة مع الدول المطبعة، وجلب المزيد منها، والاستفادة من نافذة الفرصة التي فتحت نتيجة الاستياء المتزايد في الولايات المتحدة وأوروبا تجاه إيران، بسبب مساعدتها للمجهود الحربي الروسي خارجياً، والقمع الجاري للاحتجاجات داخلياً.

وبجانب كل ذلك الحفاظ على العلاقات مع روسيا على المستويينِ السياسي والأمني، واتباع نهج حذر فيما يتعلق بالطلبات الأوكرانية، وتجنُّب تجاوز الخطوط الحمراء لروسيا، مع التركيز على توريد أنظمة الدفاع الجوي، مما قد يؤدي لتقويض نظام العلاقات مع موسكو، والإجراءات الانتقامية من جانبها، ومن شأنها الإضرار بحرية إسرائيل في العمل ضد الأهداف الإيرانية في سورية والمنطقة.

خامساً: المسارات والبدائل الإسرائيلية من التحالف

تشير المعطيات الإسرائيلية إلى أن روسيا وإيران نموذجان لعلاقة مشتركة؛ لأنه بعد زيارة بايدن لإسرائيل والسعودية، يبذل بوتين جهداً لإظهار أنه قادر أيضا على إقامة تحالفات مع إيران، وتعتقد أنه طالما كان مشغولاً بنفسه، ولكن منذ اللحظة التي بدأ فيها حربه ضد أوكرانيا، أصبح الواقع الإسرائيلي أكثر تعقيداً.

في الآونة الأخيرة بدأ بوتين يتخيل علاقة مع المحور الإيراني مرة أخرى، مع أن تحالفه مع الإيرانيين يطرح تساؤلاً إسرائيلياً: هل سيكون لمرة واحدة، أم اتجاهاً جديداً مقلقاً، في ضوء أن جهود تقارُبهما تتمثل على عدة مستويات في نفس الوقت، دون امتلاك إجابة حدّية حاسمة.

ففي المجال الإستراتيجي حصل اجتماع القمة في طهران، بعد أيام قليلة فقط من زيارة بايدن لإسرائيل وقمته في السعودية، حيث توفرت فرصة لبوتين لإثبات أنه رغم جهود الغرب لتحويل روسيا إلى منبوذ على المستوى الشخصي، فقد نجح بتعزيز التعاوُن مع الدول الرئيسية، بما فيها تركيا، العضو في الناتو، مع استمرار بعض جوانب الخلاف والتباين في أكثر من ملف وقضية.

في الوقت ذاته، تظهر إسرائيل أنها متضررة من التحالف الروسي الإيراني على دفعتين: أُولاهما عبر "لدغ" موسكو لها دون قطع العلاقات معها، من خلال السماح لإيران باستمرار تدفق أسلحتها إلى لبنان عبر سورية، رغم أن الروس لا يمنعون الطيران الإسرائيلي من التحليق في أجواء دمشق وقصف بناها التحتية، بما فيها المطارات والموانئ، وثانيهما من خلال استفادة الروس من التحالف مع الإيرانيين، بما في ذلك تزويد نفسها بالسلاح، ولدى روسيا عدة مئات من الطائرات بدون طيار، بما فيها القادرة على الهجوم.

يستدعي المسار الإسرائيلي المستقبلي من هذا التحالف رصد زيارة وفود روسية لإيران خلال الشهور الماضية لاختبار المسيرات، مع الزعم بأن إيران تدرب فرقاً روسية على تشغيلها، مما سيخلق واقعاً شديد التعقيد لتل أبيب تحدث عنه بإسهاب الخبير العسكري نيتسان سادان في مقال نشرته صحيفة "كالكاليست" يوم 30 سبتمبر 2022، لأنه سيخلق لها تحديات على المستويين الإستراتيجي والأمني، خاصة أن توطيد ذلك التحالف قد يؤدي لتوسيع نطاق علاقاتهما، بما فيها الأمنية والعسكرية، وإبرام صفقات تسليحية جديدة، والتعاون في مجال الاستخبارات والإنترنت، ودعم إيران في المفاوضات النووية، المتوقفة حالياً، وربما يكون هذا واقعاً سيكون من الصعب تغييره في السنوات القادمة.

في الحديث عن مسار تل أبيب المستقبلي تجاه تقوّي حلف موسكو وطهران، فإن الأمر قد يصل "حدّ حرمان عيون قادتها من النوم"، رغم أن طموحاتهما ستساعدهما بالتغلب على أضرار العقوبات ضدهما، وقد ترغبان بإضافة المزيد من اللاعبين لهما؛ لأنهما تبحثان عن مؤازرة لهما، سواء من حيث الرؤية الرمزية، أو المستوى العملي، وتجاوز العقوبة الاقتصادية، وتعاونهما الكبير في مجالات النفط والغاز، وبالتأكيد في المجال العسكري، مما سيكون مصدر أرق للقادة في إسرائيل، لأن ما يصفونه بـ"تحالف المنبوذين" يعدّ أمرا خطيراً.

مسار إسرائيلي جديد ذو طابع استشرافي لمآلات التحالف الروسي الإيراني يظهر عشية تشكيل الحكومة اليمينية الجديدة في تل أبيب يكتسب أهمية كبيرة، لأكثر من اعتبار:

1. يرتبط نتنياهو بعلاقات وثيقة جداً مع بوتين، وفي سنوات سابقة اعتبر الرئيس الأكثر زيارة لموسكو.
2. الحديث المتزايد عن توتر بدأ يطلّ برأسه بين نتنياهو وبايدن بسبب مواقف الوزراء الإسرائيليين من القضية الفلسطينية.
3. لا يبدو أن إسرائيل قد تكون مقبلة على تغيير موقفها من مسألة تزويد أوكرانيا بالأسلحة النوعية استجابة للمطالب الغربية؛ لأنها حريصة على عدم توتر العلاقة مع موسكو.
4. ذات الحكومة تمتلك مواقف حدية من البرنامج النووي الإيراني، وليست منسجمة مع رؤية واشنطن، مما قد يدفعها لتصعيد الموقف ضد طهران بما قد يخلط أوراق المنطقة بأسرها، وربما العالم كله.

خلاصة

تختتم هذه الورقة قراءتها للرؤية الإسرائيلية للتحالف الإيراني الروسي بجملة من النتائج والاستخلاصات، لعل أهمها:

1. ترقب إسرائيلي لتصاعد وتنامي التحالُف بين موسكو وطهران تحقيقاً لمصلحة طرفيه، مما يزيد في الوقت ذاته من تطلع إسرائيل لمحاولة كبح جماحه، أو الحدّ من أضراره على أمنها الآنيّ والإستراتيجيّ.

2. لعل وصول نتنياهو إلى الحكم، وتسلمه مقاليد السلطة، يدفعه من خلال علاقته الوثيقة مع بوتين، لتقييد هذا التحالف، إنْ لم يكن وضع حدّ نهائي له، وهو ما لا يبدو في الأفق، في ضوء الحاجة الروسية الماسة للمسيرات الإيرانية، في وقت تشهد فيه روسيا تراجعاً على الأرض أمام القوات الأوكرانية المدعومة غربياً بكل المعدات.

3. قد يأخذ الموقف الإسرائيلي من التحالُف الإيراني الروسي أبعاداً ميدانية في حال انتقلت المواجهة بين تل أبيب وطهران إلى ساحة أخرى غير مألوفة لهما وهي كييف، في ضوء التطلع الغربي من إسرائيل لأن تعمل على الحدّ من فاعلية المسيّرات الإيرانية على الأراضي الأوكرانية، رغم أن ذلك قد يوتر علاقة نتنياهو وبوتين، الأمر الذي لا تدعمه أي من الحقائق الماثلة حتى كتابة هذه السطور.

في الوقت ذاته، فإن التوصيات الإسرائيلية في هذا السياق تركز على الجوانب التالية:

1. عدم السماح لإيران بالاستفادة من روسيا في إطار تحالفها معها بما قد يكسر ما تعتبره إسرائيل التوازُن القائم في المنطقة، خاصة حيازتها أسلحة نوعية، أو مساعدة في برنامجها النووي.

2. تكثيف استهداف مصانع إيران التي تنتج المسيرات الانتحارية، سواء استمراراً لما تسميها إسرائيل "المعركة بين الحروب"، المتمثلة بالقضاء على قدرات إيران العسكرية غير التقليدية، أو تحقيقاً لرغبة غربية أمريكية بحرمان روسيا من هذه المسيرات.

3. استغلال العلاقة الوثيقة بين نتنياهو وبوتين لـ"تقليم أظافر" إيران المستفيدة من تحالفها مع روسيا، وتوظيف حاجة بوتين لموقف إسرائيلي أقل انحيازاً للغرب، مما قد يجعل بوتين أكثر استجابة لمواقفها وسياساتها من إيران.

Dimensions
for Strategic Studies

\DimensionsCTR
\DimensionsCTR
\dimensionscenter
\dimensionscenter

info@dimensionscenter.net